المحور الخامس

الفلسفة الإسلامية

المحاضرة التاسعة

ماهية الفلسفة الإسلامية :

I- التعريف بفلسفة التربية الإسلامية

إن جوهر التربية الإسلامية نابع من الفلسفة الدينية الإسلامية وهي أن الإسلام ليس مجرد شريعة ودين وإنما هو فلسفة كاملة وطريقة حياة شاملة تدعو العقول للعلم والتفكير.

إن اهتمام التربية الإسلامية المتوازن بالدنيا والآخرة انعكس على اهتمامها بتربية الإنسان ، حيث اهتمت بجوانب الشخصية المختلفة اهتماماً متوازناً فجمعت بين تهذيب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم ومن ثم اهتمت بتدريس جميع أنواع العلوم وهدفها في ذلك تعميق الإيمان بالله تعالى في نفوس المسلمين من خلال فهمهم لقوانين الكون ونظامه المحكم الذي يدل على عظمة الخالق عز وجل وقدرته، وهكذا كان للتربية الإسلامية مكانة واضحة وملحوظة في هذا الإطار الحضاري وكان لها أصولها التي جاءت من العصور الجاهلية القديمة وتبلورت بالإسلام الذي رفعها إلى التقدم والانتشار وكان للتربية الإسلامية خلفية جسدية تهتم بأخلاق الفرد وتنمية قواه الجسدية وخلق المحارب وبث روح الفضيلة وغرس الصفات النبيلة عنده كالإخلاص والوفاء وكرم الضيافة.

الفلسفة الإسلامية هي تطبيق للتصور الإسلامي عن الله والكون والإنسان والوجود. وأما تطبيقاتها التربوية أو ما يمكن أن نطلق عليه "الفلسفة التربوية الإسلامية" فيقصد بها تطبيق المنهج الإسلامي على التربية. فهي النشاط الفكري الإسلامي الذي يعمل على تنظيم العملية التربوية وتنسيقها وتوضيح القيم والأهداف التي تسعى لتحقيقها. ولهذا تستمد الفلسفة الإسلامية تصوراتها من القرآن والسنة لحقيقة الإنسان وموقعه من الكون، وموقع كليهما من الخالق لهما. فهي تؤمن بأن الله واحد أحد، منه صدر كل شيء، وإليه يعود، وأنه خلق الكون وجعله غيبا وشهودا، وخلق الإنسان لعبادته، وجعله خليفة في الأرض لإعمارها وترقية الحياة على ظهرها، وفق منهجه وشريعته، وخلق الحياة دنيا وآخرة، وجعلهما متكاملتين، لا بديلتين ولا نقيضتين.. وهي بهذا المعنى منهج ونظام للحياة، توجه الإنسان والمجتمع في سلوكه وعلاقاته وارتباطاته، ونظمه ومؤسساته المختلفة.

ومن أهم ما يميز الفلسفة التربوية هو نظرتها للكون والإنسان والحياة وتلبيتها لجميع احتياجات الإنسان من دون الاقتصار على الجانب العقلي أو الجسدي أو الروحي فقد شملت جميع جوانب الحياة بجميع مراحل نمو الإنسان من المهد وحتى الوفاة.

كذلك حددت فلسفة التربية الإسلامية الوسائل المعرفية الموصلة إلى تطوير الأدوات اللازمة لتحقيق الغايات. وتمركزت هذه الوسائل حول تضافر كل من الوحي والعقل والحواس للوصول إلى المعرفة الصحيحة وتحويلها إلى تطبيقات وممارسات بتأثير عوامل أربعة هي:

- عامل عقائدي هو تحديد الصلة القائمة بين الخالق المربي وبين الإنسان المخلوق.
- عامل اجتماعي وهو بلورة العلاقة وأنماط السلوك في الدائرة الإنسانية التي ينتمي إليها إنسان التربية الإسلامية وهي دائرة شملت جميع أفراد النوع الإنساني.
- عامل مكاني وهو أسلوب العيش على الرقعة المكانية وهي رقعة شملت الكرة الأرضية كلها والكون المحيط.
- عامل زماني وهو مراعاة البعد الزماني لعمر الإنسان وهو بعد يبدأ في الدنيا ويمتد إلى الآخرة عبر مستقبل لا يتناهى.

عنى الباحثون في التربية الإسلامية بالحديث عن أهدافها على وجه العموم، دون تفرقة بين عصر وعصر، أو بين مفكر وآخر، وقد كان التعليم عند المسلمين يرمي إلى عدة جوانب منها :

– الجانب الاجتماعي: ويهدف إلى نيل المكانة في المجتمع، إذ العلم شرف لصاحبه يرفع قدره بين الناس درجات ودرجات.

– الجانب العقلي: والغرض منه دراسة العلم لذات العلم لما في ذلك من متعة عقلية ولذة روحية لا تقدر بغيرها من الملذات.

– الجانب الديني: الغرض منه تعليم الناس آداب الشريعة والفقه في الدين والتأدب بآداب القرآن والسنة.

– الجانب المادي أو النفعي والغرض منه كسب الرزق.

أهداف التربية الإسلامية :

للتربية الإسلامية مجموعة من الأهداف أهمها :

–أهداف دينية : تتمثل في إعداد الإنسان المؤمن بالله العابد له العامل بأوامره ونواهيه.

–أهداف روحية : تتمثل في تدعيم القيم الروحية في الإنسان والمجتمع .

– أهداف أخلاقية : تتمثل في إعداد الإنسان على خلق عظيم وتدعيم القيم الأخلاقية .

– أهداف معرفية : تتمثل في تنمية وترقية القوى العقلية مثل التفكير والتذكر .

– أهداف اجتماعية : تتمثل في بناء المجتمع المسلم على أساس التعاون والتكافل الاجتماعي وتدعيم القيم الاجتماعية . – أهداف جهادية : تتمثل في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وإعداد الإنسان جسميا وعسكريا .

-أهداف جسمية: تتمثل في النظافة والطهارة الجسدية .

III- موقف الفلسفة التربوية الإسلامية من طبيعة الوجود :

- الفكر والمادة حقيقتان رئيسيتان في تكوين هذا الوجود، فهو ليس مجرد ماديات مركبة فقط ، كما هو الشأن في الفلسفات التربوية المادية وليس قاصرا على الفكر وحده ، كما هو الشأن في الفلسفات التربوية المثالية .

-لا فصل بين المادة والفكر بل هما وحدة تجمعهما في إطار متكامل وفي علاقة تبادلية تفاعلية متوازنة لا غلبة لأحدهما على الآخر .

-المادة : (بدون فكر صماء) في مختلف صورها وأشكالها ومجالاتها تحيط بالإنسان وتؤثر فيه، علوم المادة بنتائجها أدت إلى تطور الإنسان ، المادة هي مختبر الفكر ومعيار صدقه أو كذبه.

- العلاقة الدينامية بين الفكر والمادة تترجم تربويا :ضرورة احتواء مناهج الدراسة ومقرراتها في كل مراحل التعليم على الجانبين الفكري والمادي، أي النظري والتطبيقي العملي، رئيسية .

IV- موقف الفلسفة التربوية الإسلامية من طبيعة المعرفة الإنسانية وتطبيقاته التربوية :

- طبيعة المعرفة تتألف من نشاطين متكاملين : الآثار الحسية الوافدة من العالم الخارجي إلى العقل .

- فاعلية العقل ودوره في تحويل هذه الآثار الحسية في صورة معاني ومفاهيم وقوانين عامة .

- المعرفة هي إدراك للعلاقات القائمة بين الأشياء والأحداث والمعاني التي تتضمنها هذه العلاقات والتي تحدد بالتالي وظائفها في حياة الإنسان المتغيرة .

V- موقف الفلسفة التربوية الإسلامية من الطبيعة الإنسانية :

يرى الكندي أن الطبيعة البشرية ثنائية نفس وجسم، والنفس روحانية وهي خالدة ، والجسم فان يتعرض للموت والفناء، ووجود النفس في الجسم من أجل توجيهه إلى فعل الفضيلة، وأن النفس سترجع إلى عالمها العلوي . الطبيعة البشرية شريرة الطبع ويعود ذلك إلى الجسم آلة الغضب والشهوة .الطبيعة البشرية تحتوي على بذرة الخير وذلك يعود إلى النفس ذلك العنصر الروحاني الخالد .

ويترتب على ما سبق أن المطلوب من التربية أن تضع برنامجا ثنائيا، أحدهما لكبح وترويض الجانب الشرير في الإنسان والمتمثل في الشهوات والغضب وبرنامج آخر يستهدف الجانب الخير في الإنسان فيسعى إلى رعايته وتثمينه.

أما " ابن سينا" فيرى أن الإنسان مولود على الفطرة، ليس شريرا بطبعه أو خيرا بطبعه وإنما يستمد أخلاقه وقيمه من البيئة والمجتمع . أي أن باستطاعة الإنسان أن يغير من عاداته وأخلاقه عن طريق "النعود "أو عملية التطبيع الاجتماعي" التربوي بكل وسائلها وأساليبها المختلفة .

VI- معاهد التعليم في الإسلام :

إن أهداف التربية ومعالمها تتجلى من خلال دراسة مؤسساتها ومنشآتها، بالإضافة إلى دراساتها عن طريق مناهجها وأساليبها.

1-أمكنة التعليم قبل انتشار المدارس:

نستطيع أن نعتبر عام 459 هو حدا فاصلا فيما يختص بأمكنة التعليم عند المسلمين، ففي هذا العام افتتحت في بغداد أول مدرسة من مجموع المدارس الكثيرة المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك، وقد انتشرت هذه المدارس في العالم الإسلامي حتى شملت البلدان والقرى القصيرة، بالإضافة إلى كثير من المدارس الكبرى في عواصم الأقاليم ، ثم اقتدى بنظام الملك كثير من الملوك والعظماء.

وقبل انتشار المدارس كانت حلقات التعليم لا تعقد في أمكنة من طراز واحد بل تعقد في أمكنة، مختلفة، كالمساجد ومنازل العلماء ودكاكين بيع الكتب وغيرها .

أ-الكتاب:

إن الكتاتيب وجدت قبل ظهور الإسلام، وإن كانت قليلة الانتشار. ثم أصبح الكتاب بعد ظهور الإسلام المكان الرئيسي للتعليم، دعت إلى ظهوره حاجات التوسع في نشر الدين وانتقال العرب من حال البداوة إلى حال الحضارة. وقد استمتع بمكانة كبيرة الأهمية في الحياة الإسلامية، لأنه كان المكان الرئيسي لتعليم الصغار القرآن، ولأن تعليم الأطفال القرآن بصفة خاصة كان أمرا عظيما في الإسلام، حتى لقد اعتبره كثير من العلماء فرضا من فروض الكفاية.

وقد عرف المسلمون نوعين من الكتاب: الكتاب الخاص بتعليم القراءة والكتابة، وكان يقوم غالبا في منازل المعلمين، والكتاب لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي، وكان مكانه المسجد في الغالب.

وقد ظهر في هذه الكتاتيب بعض المعلمين الموهوبين الذين لمعوا في المجتمع العربي الإسلامي، من أشهرهم: الضحاك بن مزاحم (105هـ)، والكميت بن زيد (126هـ) وعبد الحميد الكاتب (132هـ).

ب-القصور:

وجد نوع من التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء كي يجد أبناء هؤلاء ما يؤهلهم لتحمل الأعباء التي سينهضون بها. ويرتبط هذا النوع من التعليم بالنوع السابق إلى حد ما، لأن هدف كليهما تعليم الصبيان، غير أنه يختلف عنه مع ذلك:

فالمنهاج هنا يضعه الأب أو يشارك في وضعه، والمعلم هنا لا يسمى معلم صبيان أو معلم كتاب، بل يسمى "مؤدبا". ثم إن المتعلم هنا يظل يتلقى العلم حتى يجاوز عهد الصبا وينتقل من مستوى تلميذ الكتاب إلى مستوى الطالب في حلقات المساجد أو المدارس. يضاف إلى هذا أن المؤدب كثيرا ما كان يخصص له جناح في القصر يعيش فيه ليكون إشرافه على الأمير أحكم وأشمل.

وقد خطا الفاطميون في هذا المجال خطوات واسعة فأنشأوا في قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها أولاد علية القوم وسراتهم.

ج–حوانيت الوراقين:

من الممكن أن نربط بين أسواق العرب في الجاهلية وبين دكاكين بيع الكتب في الإسلام. فلقد فتحت هذه الدكاكين في الأصل لأغراض تجارية، ثم غدت مسرحا للثقافة والحوار العلمي. وظهرت هذه الدكاكين منذ مطلع الدولة العباسية، وانتشرت سريعا في العواصم والبلدان المختلفة وحفلت كل مدينة بعدد وافر منها. ولم يكن بائعو الكتب مجرد تجار ينشدون الربح وإنما كانوا في معظم الأحيان أدباء ذوي ثقافة يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة. ولهذا عرفت قائمة أسماء الوراقين شخصيات لامعة، كابن النديم صاحب الفهرست، وعلي بن عيسى المعروف بان كوجك، وياقوت الحموي مؤلف معجم الأدباء ومعجم البلدان.

ولم تكن مهنة الوراقة في عهد الدولة العباسية تقف عند حد الصفقات التجارية وبيع الكتب، وإنما كانت تتعدى ذلك إلى مهام ثقافية بالغة الأهمية: إذ كان الوراقون هم الذين ينسخون الكتب الهامة ويعرضونها للراغبين فيها. وهكذا كانت حوانيت الوراقين مغدى ومراحا للطلاب والعلماء، يتذاكرون فيها ويناقشون. حتى كان الجاحظ يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر.

د–منازل العلماء:

لم يعد المسلمون المنازل مكانا صالحا للتعليم العام، لافتقارها إلى السكون والراحة. غير أن وطأة الحاجة دعت إلى قيام حلقات تعليمية بالمنازل الخاصة. وقد جرى التعليم الإسلامي بالمنزل في عهد الإسلام المبكر وقبل نشأة

المساجد، يوم اتخذ الرسول (ص) دار الأرقم ابن أبي الأرقم مركزا يلتقي فيه بأصحابه ومن تبعه، ليعلمهم مبادئ الدين الجديد. وبالإضافة إلى دار الأرقم كان الرسول (ص) يجلس بمنزله بمكة ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم ويزكيهم. ولظروف خاصة غدت بعض المنازل فيما بعد ملتقى للطلاب والمدرسين. ومن أهم هذه المنازل منزل الرئيس ابن سينا؛ وكذلك منزل أبي سليمان السجستاني (محمد بن طاهر بن بهرام) الذي توفي في العقد الأخير للمائة الرابعة الهجرية.

هـ–المسجد:

يرتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا. وقد قامت حلقات الدراسة في المسجد منذ نشأ، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون. ولعل السبب في جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات أيام الإسلام الاولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد، ثم توسع المسلمون في عصورهم التالية في فهم مهمة المسجد فاتخذوه مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم ودارا للقضاء وكان أول مسجد أنشئ في الإسلام مسجد قباء، وكانت تعقد فيه حلقات العلم. وازداد عدد المساجد مع مضي الزمن زيادة كبيرة، فما جاء القرن الثالث حتى كانت بغداد تغص بالمساجد، ويحكى أن اليعقوبي عدَّ فيها ثلاثين ألف مسجد.

2–أمكنة التعليم بعد ظهور المدارس:

يعتبر فتح السلاجقة للعراق ودخولهم بغداد في 25 محرم سنة 447 بدء انتصار أهل السنة على الشيعة. وقد أراد السلاجقة –وهو سنيون شديدو التعصيب– أن يمكنوا لعقيدتهم ويحرروا عقول الناس مما علق بها، عن طريق نشر العلم. ونشأت المدارس لهذه الغاية، تعضيدا للمذهب السني عن طريق العناية بدراسة الفقه وفق المذاهب السنية الأربعة. وكان ذلك على يد الوزير الشهير نظام الملك الذي وزر لألب أرسلان ولملك شاه، ونسبت هذه المدارس إلى منشئها نظام الملك فعرفت باسم "المدارس النظامية". وسار على نهج نظام الملك السلاجقة الذين جاءوا بعده، كما اقتفى أثرهم الشاهات والأتابك الذين أقاموا إمارات على إنقاض السلاجقة. ثم جاء البطل نور الدين الزنكي (569هـ) الذي آلت إليه سورية ثم مصر، فبنى مدرسة في دمشق، تعرف باسم المدرسة النورية، وبنى العديد من المدارس في دمشق وحلب وأعمالها وفي مصر أيضا، وعرفت مدارسه باسم المدارس النورية.

وتعتبر المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة المستنصر في بغداد في القرن الثالث عشر الميلادي من أجل مدارس العالم الإسلامي. التي كانت بها مكتبة كبيرة تحتوي على مختلف الكتب في شتى العلوم، رتبت بحيث يسهل على كل طالب الاطلاع على ما يريد وزودت بالحبر والورق لمنفعة القراء والناسخين.

ولم تختلف المدرسة عن الجامع أو المسجد لا في بنائها ولا في وظيفتها والغرض منها. إلا أنها كانت أكمل وأوفى بأغراض الدراسة المتصلة بها ولسكنى الطلاب المنقطعين إلى العلم. على أنه كان للمدرسة غرض رئيسي هو تدريس الفقه وفق واحد من المذاهب السنية الأربعة بطريقة تستدعي انقطاع الطلاب للدرس وتفرغ المدرسين للعمل.

أ–المكتبات:

إن الحديث عن المكتبات يدخل في إطار الحديث عن معاهد التعليم. ذلك أن المكتبات كانت طريقة القدماء في نشر العلم، ولما كان يتعذر على غير الأغنياء اقتناء الكتب، لجأ من أحب تعليم الناس إلى إنشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح أبوابها لهم، يضاف إلى هذا أن الكتب كانت نواة الجامعات الإسلامية المبكرة كبيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة.

وقد عني الخلفاء المسلمون منذ فجر العهد الأموي بالكتاب العربي وتكثيره ونشره بين الناس وإنشاء الخزائن التي تضم الكتب والدفاتر والسجلات، كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعا لهم ولأولادهم، وكانوا يزودون المساجد الجامعة في كل إقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم .

وقد انقسمت المكتبات التي ظهرت في العالم العربي الإسلامي أقساما ثلاثة: مكتبات عامة، ومكتبات بين العامة والخاصة، ومكتبات خاصة. أما المكتبات العامة فقد أنشئت بالمساجد لتكون في متناول الدارسين.. ومن أشهر هذه المكتبات "بيت الحكمة" الذي أسسه هارون الرشيد، والذي بلغ ذروته في عهد المأمون. وكان أول جامعة إسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ إليها الطلاب.

كذلك من المكتبات العامة مكتبات المدارس، إذ قلما خلت مدرسة من المدارس التي انتشرت في العراق وخراسان وسورية ومصر من مكتبة تتبعها.

أما المكتبات التي بين العامة والخاصة فهي مكتبات أنشأها الخلفاء والملوك تقربا للعلم وتظاهرا على أنهم من أهله وجعلوا دخولها مباحا لطبقة خاصة من الناس، هم الوجهاء. أما المكتبات الخاصة فقد أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، وقد كانت كثيرة جدا ومنتشرة، وكان من الصعب أن تجد عالما أو أديبا دون أن تكون له مكتبة يرجع إليها في دراسته واطلاعه.

ب–الخوانق والربط والزوايا والبيمارستانات:

لم يقتصر التعليم عند العرب على المسجد والجامع والكتاب ودور العلم وخزائن الكتب، بل وجدت عندهم مؤسسات أخرى كانوا يتلقون فيها العلم إلى جانب الأغراض الأخرى التي أنشئت من أجلها وهي الخانقاه والرباط والزاوية والبيمارستان.

المحاضرة العاشرة :

رواد الفلسفة الإسلامية

I- الغزالي:

هو حجة الإسلام محمد بن أحمد الغزالي، المعروف بأبي حامد نسبة إلى ابن له توفي صغيرا. ولد عام 450 هجرية (1059 ميلادية) بمدينة "طوس" قرب خراسان ، ومات فيها عن عمر بلغ الثالثة والخمسين، وكان ذلك عام 505 هجرية الموافق لعام 1111 ميلادية.

وقد ترك الغزالي ما يزيد على سبعين مؤلفا أكثرها في الفقه والجدل والمناظرة والرد على الفلاسفة والدفاع عن الدين. وأشهر مؤلفاته التي تتضمن آراءه في التربية رسالة "أيها الولد"، و"أحياء علوم الدين" و"ميزان العمل" و "فاتحة العلوم" .

1–أهداف التربية عند الغزالي :

هدف التربية عند الغزالي، هو الهدف الذي تسعى إليه التربية الإسلامية بصورة عامة، وهو بناء إنسان يسعى للتقرب من الله وهي تربية تربط الفكر بالعمل. وإنها تهدف بجانب تنمية الفكر إلى غرس مكارم الأخلاق وتعويد الطفل على فعل الخير وذلك عن طريق والديه وجهود معلميه وقد أكد ذلك في كتابه رسالة أيها الولد بقوله: "لو قرأت العلم مائة سنة وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل " .

2 –رأيه في فطرة الطفل:

ويبني الغزالي آراءه التربوية على نظرته إلى النفس الإنسانية وعلى فهمه لطبيعة الطفل وغرائزه. ويرى التبكير في تعويد الطفل الخصال الحميدة، لأن نفسه ساذجة خلوة من أي نقش. وهو في هذا يوافق أصحاب المذهب التجريبي من الفلاسفة ولا سيما أصحاب المدرسة التجريبية الانكليزية، من مثل لوك وهيوم وأمثالهما، الذين كانوا يرون أن النفس تولد صفحة بيضاء خالية من أي نقش .

والطفل في نظر الغزالي، تبعا لهذا، يتقبل الخير والشر على حد سواء، وهو، كما يقول الحديث الشريف، يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. على أن الغزالي لا يغلو في هذا غلو أصحاب المذهب التجريبي في الفلسفة، ولا يصل به الأمر إلى حد إنكار الاستعدادات الموروثة التي تتحكم في عملية التعلم. فهو وإن كان يقرر أثر التربية ودورها في توجيه الغرائز وفي تقويتها أو إضعافها لا يهمل دور الطبيعة الأصلية ،ويعرف حدود التربية والاكتساب والتطبع، ويلتقي في هذا مع علماء النفس المحدثين، ولا سيما علماء الطباع. وبهذا فإن الغزالي ليس بعيدا عن آراء علماء النفس والمربين المحدثين فيما يتصل بالحدود بين الوراثة والبيئة، بين الطبيعة والتطبع. وهو يرى بوضوح أن اختلاف الطبائع لا يرجع إلى آثار التربية وحدها ،وإنما يتأثر أيضا بالطبيعة الموروثة وباختلاف قوة الشهوة أو ضعفها في حالتها الطبيعية وإلى امتداد وجودها. بل يذهب الغزالي إلى أبعد من هذا فيقرر مبدأ الفروق

الفردية التي ترجع إلى اختلاف الوراثة والاستعدادات الفطرية، ويبين حدود التربية تبعا لهذه الفروق، وواجبات التربية تجاه هذه الفروق. وهو لا يرى أن الطبيعة البشرية فاسدة وينبغي قمعها وزجرها وتطهيرها. بل رأى أن للشهوات والغرائز وظيفتها، وأن فيها الخير والشر على حد سواء، وأن الغرض من التربية ليس قمعها وكبتها، بل الاتجاه بها نحو حسن توجيهها، وإخضاعها لسلطان العقل، أو القوة الناطقة على حد تعبير فلاسفة المسلمين.

وعلى الرغم من قناعة الغزالي بأهمية علم الوراثة في العملية التربوية إلا أنه يؤمن إيمانا راسخا في المؤثرات البيئية في عملية بناء الانسان ، ولذلك فيهتم بالطفل من كافة الجوانب التي تساعد على تكوين شخصيته .

3 –آرائه في تربية الطفل وتأديبه:

وانطلاقا من هذه النظرة إلى طبيعة الطفل، يرى الغزالي أن على المربي أن يصون الصبي عن الآثام، بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر.

وينبغي أن يتذكر المربي أن تربية الصبيان ليست مقصورة على تعليمهم، وإنما تشمل ألوانا أخرى لا تقل أهمية عن التعليم. فيجب أن يراقبه الولي من أول أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال ، وينبغي أن يحسن مراقبته وأن يقوي فيه خلق الحياء عند ظهوره فيه، وأن يعلمه الطريق المستقيم في تناول الطعام والمشاركة فيه، فعليه أن يأكل مما يليه، وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل، وألا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ، وألا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه، وعليه أن يحفظ الصبي عن الصبيان الذين تعودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، وكذلك الصبيان الذين ساءت أخلاقهم.

ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل. ويمنع أن يفتخر على إقرانه بشيء مما يملكه والده أو بشيء منا يملكه هو كالملابس وأدوات الكتابة، بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم، ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا، وإن كان غنيا يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ، وأن الأخذ لؤم وخسة، وإن كان فقيرا يعلم القناعة وأن الطمع والأخذ مهانة وذلة.

ويدرك الغزالي، شأن معظم المربين المسلمين ، أهمية اللعب للطفل وحاجته إلى النشاط الجسمي، فينصح بأن يسمح للطفل بأن يلعب لعبا جميلا بعد انقضاء ساعات الدرس ليجدد نشاطه بشرط ألا يجهد نفسه،

4–آراؤه في التربية الخلقية:

لقد عني الغزالي بتربية الخلق وتهذيبه عناية خاصة، وأهم ما يلفت النظر عنده في هذا المجال طرائق التربية الخلقية. وأبرز ما في هذه الطرائق قوله بأن الطريقة المثلى هي طريقة المعاناة للعمل الخلقي. وهو في هذا يلتقي مع أحدث الآراء التربوية التي ترى أن التربية الخلقية لا يكفي فيها تقرير المبادئ الخلقية وتعليمها، كما لا تكفي فيها القدوة الصالحة والمثل الحسن، وأن أحسن وسيلة نتوسل بها إلى التربية الخلقية هي تعويد الطفل على العمل الخلقي ومعاناته له، بحيث يتمرس بالتجربة الخلقية بنفسه ومنذ نعومة أظافره. فالغزالي يرى كذلك أن أقوم الطرق لاكتساب الفضائل إنما هي الرياضة، ويعني بها حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب.

ومن النصائح القيمة التي يوردها أيضا في معرض طرائق التربية الخلقية، ألا يؤخذ الغلمان جميعا بطريقة واحدة وألا يعاملوا معاملة واحدة في العلاج والتهذيب، وإنما يجب أن يختلف علاجهم باختلاف أمزجتهم وطبائعهم وبيئتهم.

كذلك من نصائحه في هذا المجال أن يسلك المربي سبيل التدرج مع الغلمان الذين لا يقتدرون على ترك الخلق السيء دفعة واحدة. وفي هذا يقول: "ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة، أن ينقله المربي من الخلق المذموم إلى خلق مذموم أخف منه.

.

□

5–طرق التدريس عند الغزالي :

اهتم الغزالي بالمعلم والمتعلم؛ وذلك لأهمية الدور الذي يقوم به كل منهما في العملية التربوية. لذلك نجده بعد فراغه من وضع الأهداف، ومحتوى المنهج تحدث عن آداب المعلم والمتعلم :

أ– آداب المتعلم :حاول الغزالي أن يرشد وينصح الطلاب بمجموعة من الآداب، يري أنها تعينهم على تحصيل العلم . فأول ما يوصى به طهارة النفس، ولا بد أن يطهر نفسه من ذميم الأخلاق، فالعلم لا يصلح إلا بطهارة النفس. كما يُوصي طالب العلم بعدم التكبر وطاعة معلمه ، ، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف .عليه أن يختار أشرف العلوم لأنها تتفاوت من حيث الأهمية والشرف فيهتم في المقام الأول بالعلوم الأخروية، ولكن عليه أن يهتم بالعلوم الدنيوية بالقدر الذي يحتاجه في أمور حياته .وبذلك وفق الغزالي بين نزعته الصوفية و نزعته النفعية .

ب– وظائف المعلم :يرى الغزالي أن التعليم هو أشرف المهن وأكرمها، والمعلم له منزلة عالية القدر ورفيعة بين سائر أصحاب المهن والصناعات. فقد ذكر إرشادات قيمة تعين المعلم على أداء رسالته المقدسة على أتم وجه. فأول ما ذكر هو عطف المعلم وشفقته على تلاميذه ورعايتهم وإرشادهم .فهو يوصى المعلم بالهيبة ويؤرث الجراءة ، ويهيب الحرص على الإصرار (يسير مع طلابه حسب استعداداتهم ومقدراتهم العقلية، وعدم التقليل من شأن المواد التي لا يتولى أمر تعليمها). وان يهتم بالفروق الفردية بين المتعلمين، كما يدعو إلى العناية بالثقافة العامة حرصاً منه على توسيع آفاق الطلاب. كما ذهب الغزالي في وصاياه للمعلم على ألا يأخذ أجرا على عمله .

أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، و لا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله.

أن يجمل نفسه كي يعظم في نفوس طلبته فلا يستصغروه, أي أن يعتني بظاهره حتى لا ينفر الناس عنه.

II–ابن خلدون

هو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ، ولد بتونس سنة 732 هـ ، حفظ القرآن وقرأه ، ودرس الفقه والحديث أخذ العلوم العقلية والفلسفية عن بعض حكماء المغرب ، توفي سنة 808 للهجرة .

أشهر مؤلفاته : الكتاب الأول في العمران المعروف بالمقدمة ، الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجيالهم منذ الخليقة إلى عهده .الكتاب الثالث في أخبار البربر وما كان لهم بديار المغرب من دول .

1–آراؤه ومبادئه في التعليم وطرقه :

إن أصالة ابن خلدون، في مجال التربية، تكمن في أنه تجاوز التربية بالمفهوم الفقهي وبحث في التربية المتعلقة بالأمور الحياتية والمعاشة والشديدة الارتباط بالعمران بل وبالواقع المعاش التاريخي والحضاري للمجتمعات.

يضع أمامنا ابن خلدون منهجية تعليمية وتربوية، يجد فيها صوابا في تعليم العلوم ونقلها، موضحا طرق الإفادة منها. ومن المبادئ التي يراها ضرورية هي التالية :

أ- التدرج والتكرار التصاعدي بما يناسب الطالب والموضوع معا:

يشير على المعلم أن يتدرج مع الطالب بتلقينه مسائل من كل باب هي أصول ذلك الباب. دون أن يدخل معه في التفصيل بادئ بدء، ومراعيا قدرته وقابليته على فهم ما يلقى عليه. وبعد ذلك، وفي مرحلة ثانية، يكون الدخول مناسبا في بعض التفاصيل لدراسة جزئيات الموضوع الأكثر ارتباطا به.

ثم تأتي المرحلة الثالثة حيث يبتعد المعلم عن العموميات ويخرج عن الإجمال ولا يترك عويصا ولا مغلقا إلى وضحه وفتح مقفله.

وهكذا يكون التدرج بالعلم مع الطالب متعلقا بالطالب واستعداداته من جهة، وبالموضوع ومتطلباته من جهة أخرى وفي آن واحد. فالطالب له مقدرات واستعدادات معينة على المعلم أن يعيها ويحسن التعامل معها، كما أن للموضوع أو للفن جزئيات واختلافات، على المعلم أن يراعيها أيضا، ويندرج في عرضها وتقديمها للطالب على النحو الذي يناسب الطالب والموضوع معا.

ب- عدم إرهاق فكر الطالب والإحاطة بطبيعة هذا الفكر:

كان ابن خلدون يدرك تماما أن الفكر الإنساني ينمو ويتطور تدريجيا، ويتأثر بما يكتسبه من معلومات ومهارات وما يعرض له من خبرات، هذه جميعها تتحكم كما وكيفيا في سلامة هذا النمو واتجاهه سلبا وإيجابا. لذا لزم أن تراعي في المتعلم تلك الطبيعة التي تتهيأ تزداد استعدادا للفهم والقبول بالتدرج وكلما اكتسب فنا أو علما جديدا يزيدها استعدادا لتقبل علوم وفنون أخرى. كما تتضح عنده أهدافها ومراميها أيضا بالتدرج، يقول ابن خلدون "وإذا لم تراع هذه الطبيعة وألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له. كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه".

ج- عدم الانتقال من فن إلى آخر قبل فهمه:

بصرف النظر عن المرحلة التعليمية التي وصل إليها الطالب، يؤكد ابن خلدون على المعلم ضرورة عدم نقل الطالب إلى الجديد إلا بعد التأكد من فهم ما سبق. كان علامتنا يدرك أن زيادة المقدرة عند الطالب، والارتقاء باستعداداته، يكونان الفهم الذي يكسبه مقدرة جديدة وملكة جديدة تساعده على الارتفاع والارتقاء، يقول: "لأن

الطالب إذا حصل ملكة علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي، وحصل له النشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق، حتى يستولي على غايات العلم وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره، ويئس من التحصيل، وهجر العلم والتعليم".

وهذه الملكات، سواء فكرية أو حركية، هي النواة التي سوف ينتج عنها صناعة أي صناعة، سيمتهنها الفرد، كوسيلة له للارتزاق (العيش) من ناحية، ومن ناحية أخرى ستسهم في العمران البشري والبناء الحضاري للمجتمعات.

والملكة كما تصورها العلامة ابن خلدون هي المهارة التي يكتسبها المرء —في أمر فكري عملي– إذا هي الشيء الذي لا يكون موجودا إلا بالاكتساب، ويبدأ عن طريق الحواس أي من المحسوسات ويرتقي إلى الفكر، وعليه يشير ابن خلدون إلى طبيعة الملكات وخصائصها.

-الملكات تحصل بتتابع الفعل وتكراره.

-الملكة تتحول صناعة في أمر يشترك به الفكر إلى جانب العمل.

-لا تكتمل الملكة كونها عملية وفكرية في آن إلا بالمباشرة والممارسة كونها أوعب لها وأكمل.

-كلما كان الأصل في اكتساب الملكة راسخا ومتقنا، كان اكتساب الملكة أكثر رسوخا وإتقانا.

-توجد علاقة وثيقة بين اكتساب الملكة والحذق بها لدى المتعلم، وبين طرق تعلمها أي ملكة المعلم —سند التعليم– الذي يقوم على تعليمها.

د– النسيان آفة العلم، تعالج بالتتابع والتكرار:

يريد ابن خلدون بمنهجه أن يربي ملكات لدى الطالب. وتربية الملكة عند الإنسان تتطلب الاحتفاظ بما اكتسبه الطالب ليكون قادرا على استحضاره عند الحاجة. وهذا يحتاج إلى زمن؛ فالزمن عامل سلبي في الذاكرة، فيعالج هذه السلبية بعدم تفريق المجالس أو تقطيع ما بينها (التكرار).

وهكذا يكون ابن خلدون قد نظر إلى ذهن الطالب لا على أنه وعاء على المعلم ملؤه بالمعلومات، وإنما هو ملكة تنمو وتزداد استعدادا وقابلية بالتدرج، عن طريق التفهم واكتساب طرق التفكير وأعمال الذهن. بل أن تلك الملكة الذهنية ذات طبيعة لها قابلية النمو والاتساع. وتكون تربيتها بما يتناسب مع قوانين هذا النمو. وعند ابن خلدون أن الاختلافات في أنظمة التعليم والتفاوت الزمني اللازم لتحصيل العلم من بلد لآخر أو من فرد لآخر إنما تعود إلى مدى المعرفة بقوانين ومبادئ اكتساب هذه الملكة وطبيعة نموها وطرق ترتيبها.

هـ– عدم الشدة على المتعلمين:

لم يخف على ابن خلدون ما للشدة والقسوة على الطالب وخاصة على المبتدئ من نتائج سلبية. وقد رأى أن القهر يسبب إذلالا للنفس ويؤدي إلى اللجوء للأخلاق والعادات الذميمة. يقول: "ومن كان مرباه بالقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم حمله القهر على الكذب والخبث، وذلك يضيق على النفس في انبساطها، ويذهب بنشاطها، ففي القهر مراعاة إلى الكسل، وفيه حمل على الكذب والخبث والتظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه". وذاك القهر يعلم المكر والخديعة ويصبح ذلك بالتالي للمتعلم عادة وخلقا. وهنا نلاحظ أيضا عمق الأصالة التربوية في فكر ابن خلدون في طرحه موضوع الشدة والقسوة، وما يولدان من الأخلاق والعادات الذميمة. لا شك أنه سبق عصره في طرحه لمبادئ تربوية كهذه لا تطال تربية فكر الإنسان فحسب بل أخلاقه أيضا.

ومن الإرشادات التربوية لابن خلدون نذكر :

- الإجمال في البداية ثم التفصيل في بعد ذلك ، فتلقى على التلميذ أولا مسائلا من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، وتشرح له على سبيل الاجمال حتى ينتهي إلى آخر الفن .

- الاعتماد في أول الأمر على الأمثلة الحسية ، لأن المبتدئ في أول الأمر ضعيف الفهم قليل الإدراك ، ولا يعينه على فهم ما يلقى عليه مثل الأمثلة الحسية .

- ألا يؤتى بالغايات في البدايات ، ومعنى ذلك أن لا يؤتى بالتعاريف والقوانين الكلية في أول الأمر ، بل يجب الابتداء بالأمثلة الكافية ثم الانتقال منها إلى التعاريف والقواعد .

- ألا يخلط على المتعلم علمان معا ، فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما ، لما في ذلك من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهمل إلى تفهم الآخر ، فيفشل في تحصيل كليهما .

- البدء في التعليم بكتاب الله ، يقرأه التلميذ ويحفظه ، ثم ينتقل إلى غيره من العلوم والفنون .

- ألا يوسع الكلام في العلوم الآلية بخلاف العلوم المقصودة بالذات ، وذلك لأن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين ، علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه ، وعلوم آلية هي وسائل لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرها ، أما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسيع الكلام فيها

وتفريغ المسائل ، فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته ، وإيضاحا لمعانيها المقصودة ، وأما العلوم التي هي آلة لغيرها فينبغي أن يقتصر فيها على القدر الذي يساعد على فهم الأولى لا غير .

- ألا يطالب المعلومون تلاميذهم بمعرفة ما وقع في العلوم من مختلف الاصطلاحات وتعدد المذاهب ،ولا يكلفوهم استقصاء المؤلفات واستيعاب ما كتب في كل علم ، فإن ذلك يعوقهم على التحصيل .

- أن يعتمد في تهذيب الأحداث على القدوة الحسنة ، فإن الأطفال يأخذون بالتقليد والمحاكاة أكثر مما يأخذون بالنصح والإرشاد .